

الدرس : 29 - سورة التوبة - تفسير الآيات 34 - 35 ، التعميم من العمى.



2010-12-03 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

القرآن علمنا الموضوعية و عدم التعميم:

أيها الإخوة الأكارم، مع الدرس التاسع والعشرين من دروس سورة التوبة، ومع الآية الرابعة والثلاثين وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) ﴾

[سورة التوبة]

أيها الإخوة الكرام، أول ملمح في هذه الآية الموضوعية الرائعة التي نلمحها في القرآن، لم يقل الله - عز وجل - يا أيها الذين آمنوا إن الأخبار والرهبان، هذا تعميم، والتعميم دائماً بجانب الحقيقة، والتعميم من العمى، وأنا أنصح إخوتي الكرام ألا تعتم، ألا تطلق حكماً عاماً على كل الناس، قل: إن بعض الناس.

﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾ وإن من أهل الكتاب من يفعل كذا وكذا، القرآن كلام خالق الأكوان، علمنا أن نأتي بأحكام موضوعية، أحكام متوازنة، لذلك أحياناً يوصف الأمي والجاهل بأحكامه التعميمية.

مثلاً زار إنسان مدينة فانز عج من بعض المعاملات، يقول: كلهم كذابين، كلهم غشاشون، علامة الأمية والجهل التعميم، والإنسان المؤمن والمتقف لا يععم، والقرآن علمنا الموضوعية.

التعميم من العمى وهو من خصائص الجهلاء:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾ لو تصورنا أن الآية يا أيها الذين آمنوا إن الأخبار والرهبان، وكان هناك خبز - الحبر من علماء اليهود، والرهبان من عبادة النصارى - قرأ هذه الآية على هذا الشكل: إن الأخبار والرهبان، ولم يكن كذلك يشك في القرآن، القرآن يعطي أحكاماً موضوعية.

﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾ عود نفسك ألا تطلق أحكاماً عامة، لا تقل كل أصحاب هذه الحرفة غشاشون، إياك أن تقول هذا، لأن التعميم من العمى، والتعميم من خصائص الجهلاء، والتعميم فيه فحاجة و عدم نضج، والتعميم يبعدك عن الموضوعية.

أي منفعة بنيت على مضرة فهي حرام وأي منفعة بنيت على منفعة فهي حلال:

أيها الإخوة، ﴿ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ إذا قال الله - عز وجل -: يأكلون أموال الناس بالباطل، معنى ذلك أن هناك أكلاً لمال الناس بالحق، كيف؟ أنت فتحت بقالية، ذهبت

إلى السوق المركزي فجراً، واشترت خمس صنفاً من الخضراوات والفواكه، وجنت بها إلى حملك التجاري، جيرانك استيقظوا صباحاً، مشوا أمتاراً، وجدوا الفواكه والخضار، طبعاً بسعر أعلى من سعر التسوق، هذا الفرق بين التسوق وبين البيع، هي أرباح التاجر، هو خدمك وذهب للسوق المركزي وجاء بهذه الأصناف، أضاف عليها ربحاً، باعك إياها وأنت إلى جانب بيتك، قدم لك خدمة، أكاد أقول: إن الدخل الحلال فيه صفة رائعة أنه منافع متبادلة، البائع انتفع بهذا الفارق بين سعر الشراء والبيع، وأنت انتفعت ووجدت حاجتك إلى جانب البيت، أنت انتفعت بوجود الحاجات إلى جانبك، وهو انتفع بهذا الفرق بين الشراء والمبيع، فكل منفعة متبادلة في الأعم الأغلب تنضوي تحت الحلال.

لكن أوضح مثل السرعة، المنتفع هو السارق وصاحب المال هو الخاسر، إنسان انتفع وإنسان خسر، وكان الحرام منفعة يقابلها خسارة، مضره، منفعة قامت على مضره، لو تتبعت الأموال الحرام، الربا، السرعة، الاحتيال، الغش، لوجدت أن مالاً أُخذ بغير حق، منفعة انتفع بها البائع بناها على مضره، صُنر بها الشاري، أي منفعة بُنيت على مضره في الأعم الأغلب هذه الطريقة في كسب المال تُصنّف تحت الحرام، وأي منفعة بُنيت على منفعة في الأعم الأغلب هذه العلاقة التي من شأنها أنها تنضوي على منفعتين أو على منافع متبادلة تنضوي تحت الحلال.

الطرائق لكسب المال الحرام لا تعد ولا تحصى وكلها مبنية على الوهم والتضليل:

لذلك: **﴿بِئْسَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾** يقدم له وهماً، يقدم له فكرة لا أصل لها، يلقي في روعه أنه بهذا المبلغ سيُغفر له، لذلك رجال الدين في العصور الوسطى باعوا صكوك الغفران، تدفع ثمن صك تُغفر لك كل ذنوبك، هذا الذي أعطاك هذا الصك هل يملك أن يغفر لك كل ذنوبك؟ دائماً أكل الأموال بالباطل لها مليون طريق وطريق، والله الطرائق لكسب المال الحرام لا تعد ولا تحصى، وكلها مبنية على الوهم، والتضليل، والإيهام، وأساليب لا يقبلها الله - عز وجل -، تدليس، تضليل، إيهام، كذب، غش.

لذلك البطولة أن يكون دخلك حلالاً، إن كان الدخل حلالاً أنت من أسعد الناس، دائماً وأبداً الدخل الحرام له نتائج سيئة جداً، هذا اللحم الذي ينبت من حلال يبارك الله فيه، هناك لحم ينبت من سُحت، من مال حرام، فهذا الأب الذي يأكل المال الحرام ويطعم أولاده هناك مشكلة في حياته كبيرة. والله التقيت بإنسان، قال لي: عمري ست وتسعون سنة، البارحة أجريت تحليلاً كاملاً للدم والبول، سبحان الله! كله طبيعي، لا يوجد شيء خلاف النسبة الطبيعية، ثم قال لي: والله ما أكلت بحياتي قرشاً حراماً، ولا أعراف الحرام، أول حرام حرام المال، وثاني حرام حرام النساء.

الاستقامة عين الكرامة:

لذلك:

((استقيموا ولن تُخسروا))

[أخرجهم الله عن بلاغ الله]

الاستقامة عين الكرامة، كما أنه في التجارة يمكن أن تُضغَط التجارة بكل نشاطاتها، والله فيها أكثر من مئة ألف نشاط، نشاط متنوع، شراء، مبيع، دعاية سفر، أخذ وكالات، إنشاء معارض، ترويج بضاعة، طبع فواتير، شراء مستودعات، أكثر من مئة ألف نشاط، كل هذه النشاطات تُضغَط في كلمة واحدة، إنها الربح، فإن لم تريح فلس تاجرراً، قياساً على هذا وكل نشاطات الدين، تؤلف كتاباً، تلقي محاضرة، تنتسب لمعهد شرعي، تذهب للحج وللعمرة، لو هناك مئة ألف نشاط ديني، كل هذه النشاطات يمكن أن تُضغَط بكلمة واحدة إنها الاستقامة، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، دين من دون استقامة ثقافة، فلكلور، عادات، تقاليد، خلفية إسلامية، أرضية إسلامية، طموحات إسلامية، اهتمامات إسلامية، مشاعر إسلامية، بطاقة إسلامية، زخرفة إسلامية، أقواس إسلامية، الدين شيء والإسلاميات شيء آخر، الآن الدول مهما انحرفت، مهما انتشر فيها الفسق والفجور، يقال لك: بلد إسلامي، لأن فيه أبنية إسلامية، وبطاقات إسلامية، ومعالم إسلامية، وآثار إسلامية، الدين شيء آخر، الدين منهج يومي، لذلك لا تهتم كثيراً بما يقال، أرضية إسلامية، خلفية إسلامية، اهتمامات إسلامية، مؤلفات إسلامية، مشاعر إسلامية، فن إسلامي، الإسلام شيء آخر، الإسلام منهج مطبّق، إن لم يُطبّق أصبح الدين ثقافة، وأصبح الدين تراثاً، وأصبح الدين من منجزات الأمة الفكرية.

تحري الحلال و غص البصر عن محارم الله حصنان يقيان المؤمن من أخطر انحرافين:

لذلك: **﴿بِئْسَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾** فإذا كان الحَبْرُ أو الراهب يأكل المال الحرام فما قولك ببقية أتباع هذا الدين؟ أي يمكن أن تُضغَط كل المعاصي والأثام في بندنين، بند متعلق بالمال، وبند متعلق بالنساء فقط، كل الفضائح بالعالم بتاريخ البشرية فضائح مالية، أو جنسية، شهوات المال والجنس وراء جميع الانحرافات. فذلك المؤمن حينما يحصن نفسه من موضوع المال الحرام، والعلاقة الأئمة المحرمة مع النساء، نجا من أكبر مطبات الإنسان، أكبر مطبّين ينتظران الإنسان مطب المرأة ومطب المال، ولو استعرضت الفضائح في تاريخ البشرية لا تزيد عن نوعين من الفضائح، فضيحة مالية اختلاس، فضيحة جنسية زنى فقط.

لذلك تحري الحلال و غص البصر عن محارم الله حصنان يقيان المؤمن من أخطر انحرافين في الحياة، أما أكل المال بالحق، درست اختصاصاً، صرت طبيباً، جاءك مريض عاجته، تقاضيت الأجرة، هذه تأخذها بالحلال، درست هندسة، أنشأت مخططاً لبناء، تلقيت الأجر، درست صيدلة، فتحت صيدلية، بعث الدواء، تلقيت ربحاً، كل حرفة مقبولة مادامت مشروعة، لذلك في الإسلام بدائل، ما حرم الله عليك شيئاً إلا جعل لك بدائل له.

مثلاً يقول لك: نحن بحاجة إلى التامين، هناك تأمين محرم، التامين التجاري مُحَرَّم، والتامين التعاوني مندوب، تصور مئة تاجر أقمشة، عملوا صندوقاً للتأمين، وضع كل

واحد بهذا الصندوق مئة ألف، مئة ألف أربع أصفار ضرب مئة يعني عشرة ملايين، عشرة ملايين هذا مال لهم وظفوه بمشاريع، إن صار هناك عطب لأحد التجار، أخذ من هذا الصندوق تعويضاً، تأمين تعاوني، هذا من أرقى أنواع التأمين، أنت مالك محفوظك، وقد يُستثمر، وإذا أصاب أحد زملائك مصيبة يُدفع من هذا الصندوق، لا يوجد أروع من التأمين التعاوني، والآن بدأ ينتشر، هذا حلال، بل مندوب، لا تصدق شيئاً حرمة الله ليس له بديل حلال.

أنواع المال الحرام لا تعد ولا تحصى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ والله الذي لا إله إلا هو لو أردت أن تستوعب وأن تستقصي أنواع المال الحرام، والله لا تعد ولا تحصى، يكفي أن توهم الشاري أن هذه البضاعة سوف يُمنع استيرادها، والفكرة ليس لها أصل، أنت أوقعته بحالة نفسية قلقة، فاشترى ولم يسأل عن السعر، أنت استغلّيت قلقه ورفعت السعر، هذا مال حرام، والله أكاد أقول لكم: أكثر من تسعين بالمئة من طريقة كسب المال في العمل التجاري محرم، لأنه مبني على الوهم، أو الاحتكار، أو الإيهام، أو الغش.

لذلك هذا الإنسان الذي يغير الواقع في البيع والشراء لا يظن نفسه ذكياً، أحياناً إنسان يجمع مالاً حراماً خلال عشر سنوات، يذهب بمصادرة واحدة، يذهب بكارثة واحدة، أنت جمعته خلال عشر سنوات وذهبوا بليلة واحدة.

والله إنسان أظنه صالحاً ولا أركي على الله أحداً، احترق محله التجاري، فأنا أمامه والمحل يحترق، لكن أظنه صالحاً، قال لي: أنا عمل بهذا العمل منذ ثلاثين سنة، لعلّي أكلت مالاً حراماً بهذه السنوات، فجمع الله لي إياهم بهذا الحريق، وجدته راضياً، هناك عدل إلهي، لعلّي أكلت مالاً حراماً خطأ بالبيع والشراء، عنده معمل نسيج، وعنده محل للبيع، محل البيع احترق، فحسر حوالي عشرة ملايين ليرة بضاعة، قال لي: هناك خطأ مني، لعلّي أكلت مالاً حراماً بثلاثين سنة.

ما نزل بلاء الإلذنب ولا يرفع إلا بتوبة:

يجب أن تعتقد يقيناً أنه لا يوجد مصاب ينزل بلا سبب، ما نزل بلاء الإلذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، حاول ألا تجامل نفسك، حاول ألا تحابي نفسك، الله - عز وجل - يقول:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147) ﴾

[سورة النساء]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا﴾ ما قال إن كل الأبحار والرهبان، تعلم الموضوعية، تعلم ألا تطلق أحكاماً عامة، تعلم ألا تتهم الكل، لا يتهم الكل إلا الأحمق، وكلما ارتقت عبارتك الموضوعية ترتقي عند الله، وكلما عممت تعميماً سرياً بباطلاً تسقط من عين الله.

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل الشيء الزائل، والباطل الشيء العابث، العيب والزوال من صفات الباطل، والثبات والنماء من صفات الحق، سبحانه الله! إذا كان المال حلالاً فالمال ينمو وينمو ويقول لك: بداناً بمئة ألف، الآن معنا مئات الملايين، هناك مال حلال لأنه ينمو، يأتي إنسان يحاول أن يكون ذكياً وهو بهذا من أغبياء لأنه يأكل أموال الناس بالباطل، ليجمع ثروة طائلة، فيقع في أخطاء مدمرة، ويخسر جميع ماله، وأديه الله.

أي مستحيل وألف ألف مستحيل أن تجد خيراً في المعصية، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تجد سوءاً في الطاعة، والطاعة كلها خير، والمعصية كلها شر، لكن لحكمة بالغة قد يكون الشر غير واضح، لكن الواضح هو المبلغ الكبير، هذا المبلغ الكبير قد يُدفع على صحة الإنسان، بتعبير آخر الله - عز وجل - عنده ملايين الخيارات، تجمع ما لا كثير بطريق غير صحيح مرض واحد يمنعك من التمتع بهذا المال.

كان عندي طالب له قريب صاحب دار سينما، فهو يأتي بالأفلام الساقطة كي تروح مشاهدتها عند الناس، وهذه السينما من الدرجة الخامسة أو العاشرة، وانحرافات، وهو في الأربعينات صار معه ورم خبيث، فزاره طالبه لأن هذا الشخص يكون خاله، بكى وقال له: أنا حاولت عن طريق الأفلام أن أجمع ثروة طائلة لأتمتع فيها بخرىف عمري، ها قد وافقتني المنية بوقت مبكر.

أي لا تظن أنه يمكن أن تقوم بعمل لإيذاء الناس وتنجو من عذاب الله.

من صفات المجتمع المنحرف أكل أموال الناس بالباطل وصدّ عن سبيل الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن أردت أن تصف المجتمع المنحرف، صفتان جامعتان مانعتان، أكل أموال الناس بالباطل، وصدّ عن سبيل الله، مال حرام، ومحاربة للدين، وهذا عمل العالم كله الآن، البنوك، والمصارف، والأموال الربوية، والابتزاز بوسائل مشروعة وغير مشروعة، وصد عن ذكر الله.

أيها الإخوة الكرام، **﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾** المتفعتان المتبادلتان من خصائص المال الحلال، والمنفعة التي تقوم على مضرة من خصائص المال الحرام، من أكل أموال الناس بالباطل أن تستخدم الإيهام، والكذب، والدجل، ومع أكل أموال الناس بالباطل هناك صدّ عن سبيل الله.

على الإنسان أن ينطلق في كسب المال لا من حاجته بل من قدرته:

ثم يقول الله - عز وجل -: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** أيها الإخوة من ملامح هذه الآيات أن الإنسان ينبغي أن يكسب لا يقدر حاجته بل يقدر إمكاناته، لماذا؟ لو كسب بقدر حاجته وأنفق الذي كسبه على حاجته هناك أشخاص كثير لا يملكون القدرة على كسب المال، هؤلاء يموتون من الجوع، فكل مؤمن ينبغي أن يكتب حسب قدرته على الكسب، والفائض ينفقه بحسب أحكام الزكاة أو الصدقة على من لا قدرة له على كسب المال فصار هناك توازن بالمجتمع. فدانماً يجب أن تنطلق في كسب المال لا من حاجتك بل من قدرتك، مادام الإنفاق واجباً، إذ ينبغي أن تكسب المال بطريقة تزيد عن حاجتك كي تعطي الفقراء والمساكين.

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق:

أيها الإخوة، الله - عز وجل - جعل من الذهب والفضة أصلين للغلات، الآن حتى العملة الورقية أصلها ذهب أو فضة، أي مغطاة في المؤسسات النقدية بعدد من الأوزان الذهبية تكافئ هذه الأوراق الورقية المطبوعة.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معنى ذلك أن الإنفاق ينبغي أن يكون في سبيل الله، والإنفاق كلمة واسعة جداً، أي عمل خيري في سبيل الله، أي عمل دعوي في سبيل الله، أي عمل تعليمي في سبيل الله، أي سد لحاجات الفقراء في سبيل الله، أي مشروع ينفع منه الفقراء في سبيل الله، أي مشروع تعليمي، أي مشروع صحي، لذلك الطرائق طرق إنفاق المال في سبيل الله لا تعد ولا تحصى، ومن أراد العمل الصالح والله أمامه مليون طريق وطريق.

مرة لفت نظري إنسان عنده بنت كلما جاءها خاطب لا يرجع وهي صالحة جداً وحافظة لكتاب الله، فاشترى لها بيتاً وجعل هذا البيت لها، فجاءها خطاب كثير، شاب بمقتبل حياته لا يوجد عنده بيت، وهذه فتاة معها بيت، فهذه الفكرة راقته فأنشأ أبناء، وكل فتاة ممن يعرفها صالحة، حافظة لكتاب الله، محببة، يكتب لها بيتاً صغيراً فتنزوح سريعاً، انظر هذا العمل لا يأتي ببال إنسان، هيأ زواجاً لفتيات مؤمنات، طهارات، عفيفات، حافظات لكتاب الله.

والله الأعمال الصالحة لها طرائق، وأساليب، وأنواع، وصور، لا تعد ولا تحصى، أنا أجمعها بهذه الكلمة، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، والله لا يوجد إنسان من الحاضرين وأنا معكم، إلا بإمكانه ضمن عمله أن يعمل عملاً صالحاً، ضمن بيئته، ضمن إمكانيته، ضمن أوضاعه العامة، له أن يعمل عملاً صالحاً.

من عاش تقياً عاش قوياً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ سمعت من أشخاص كثيرين عاشوا سنوات طويلة، وهناك عالم من علماء الشام بلغ من العمر ثمان وتسعين سنة، وكان منتصب القامة، حاد البصر، مرهف السمع، أسنانه في فمه، حينما يسأل يا سيدي! ما هذه الصحة التي حباك الله بها؟ يقول: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً.

البطولة في خريف العمر، فالذي نشأ بصلاح وورع وتقى له عند الله خريف عمر كبير.

إخواننا الكرام، لا تبتعدوا كثيراً، مرة أقيم حفل لعلماء الشام، عدد كبير منهم تجاوز المئة، ويتمتع بأعلى درجات الصحة، سبحان الله! من علامات التوفيق أن يطول العمر، ويحسن العمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أشخاص كثيرين والله التقيت بهم وحدثوني عن استقامتهم، من ثمار هذه الاستقامة أنهم في أعلى درجات، في أكبر أعمارهم كانوا سعداء، ويتمتعون بصحة جيدة.

مهمة الإنسان أن يربي ابناً صالحاً يحسن إدارة المال من بعده:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ هذا إنسان أحق يعيش فقيراً ليموت غنياً، إنسان كان شديداً بالإنفاق شدة مبالغ بها، توفي ترك مئات الملايين في السبعينات، فصدىق المتوفى رأى ابن المتوفى، شاب، قال له أين ذهب؟ اسمحوالي بهذه الكلمة قال له: ذهب لأسكر على روح أبي، الإنسان إذا لم يرب أولاده وترك مالا، يكون قد ترك المال للفسقة، وقد يتالم المأ لا حدود له، لذلك تربية الأولاد أهم بألف مرة من جمع المال، هناك والله أولاد صالحون، والله ترك لهم أبواهم ملايين مملينة، كلها أنفقت في مشاريع خيرية، وأعمال صالحة، كل بطولتك أن يرتك ابن مؤمن، هذا يحسن إدارة المال من بعدك، هذا يجعل هذا المال في صحائفك.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ المال لا يمكن أن يكون هدفاً إن جعلته هدفاً أخطأت التصرف، المال وسيلة، يقول أحد الصحابة: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، هاتان مهمتان كبيرتان للمال.

النار عاقبة من كنز الذهب والفضة:

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا العذاب:

﴿يَوْمَ يَحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۗ هَٰذَا مَا كُنَزْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)﴾

[سورة التوبة]

إنسان فقير سألك سؤالاً، فقلت له بجبهتك: لا يوجد معي، هذه الجبهة، وأحياناً تعطيه طرف جسمك، الجنب، وأحياناً تدبر له ظهرك، فالأجزاء الثلاثة من الجسم التي عبرت

على عدم الإنفاق الجبهة والجنب والظهر: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ لَأَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ والله أيها الإخوة عندي قصص عن أناس تركوا أموالاً طائلة، وتركوا ذرية فاسدة، فهذه الأموال أنفقت في المعاصي والآثام، هم حصلوا بكد وتعبد شديد، وأولادهم أنفقوا في المعاصي والآثام.

المال أحد أكبر الأشياء التي سوف يحاسب عليها الإنسان يوم القيامة:

إخواننا الكرام، أحد أكبر الأشياء التي سوف تحاسب عليها المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ معك جواب؟
يُروى أن إنساناً من كبار أثرياء مصر توفي، وأولاده سمعوا درساً من عالم يقول فيه أن أصعب ليلة للميت هي أول ليلة، فخافوا عليه، فخطر في بالهم أن يكفوا إنساناً لينام معه أول ليلة، أحضروا إنساناً فقيراً جداً ليس لديه سوى كيس خيش يرتديه بعد أن ثقبه وأخرج رأسه من الفتحة ومن طرفه أخرج يديه، ويربطه بحبل، هذا كل ما يملك، فاعطوه عشرة جنيهات لينام في هذه الليلة مع أبيهم في القبر، فاختلف توازنه من الفرح، ينام لا مشكلة عنده، -هذه القصة طبعاً مزيفة- جاء الملكان فربما شخصين قال أحدهما للآخر: عذيب، هناك أثنان في القبر، وليس واحد، يبدو أن الحي خاف فتحرك، فقال أحدهما للآخر: هذا حي وليس بميت، بدؤوا به فأجلسوه، فلما أجلسوه بدؤوا بالحيل، هذا الحيل من أين أتيت به؟ قال لهم: من البستان، كيف دخلت للبستان؟ لم يعرف الجواب فصر به صراخاً، هذا فقط للسؤال عن طريقة دخوله للبستان، لم يسأله بعد كيف أخذها، هناك فرق، فهذا عندما خرج من القبر، قال: أعان الله أباكم.

والله الذي لا إله إلا هو سوف نحاسب عن كل شيء، والله عن ابتسامة بغير محلها، إنسان صديقك قال لك: ماذا نفعل إذا الإنسان لا يغش لا يعيش؟ إن قلت له: والله معك حق، أو هزرت برأسك أن هذا الكلام صحيح، فهذا إثم كبير، والله لا أبالغ سوف نحاسب عن كل شيء، ما لم نستغفر، وندوب، القضية ليست سهلة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ بجهته رضى، فلما ألح أعطاه جنبه، فلما ازداد في الإلحاح أعطاه ظهره.

أشقى الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً:

﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنتم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً، والله هناك أشخاص عاشوا حياة الكفاف وتركوا مئات الملايين، والله لا أبالغ أحد إخواننا الكرام، كافح التسول في الشام لسنتين متتاليتين قال لي جمعت تقريباً ألف وخمسة مئة متسول، حقق معهم، الفقراء منهم خمسة أشخاص فقط، والبقية معهم مليون بالبنك أو سبعمئة ألف أو ثمانمئة ألف، ومظهره متسول.

لذلك التوجه القرآني أن الذي يستحق منك صدقة:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273)﴾

[سورة البقرة]

إخواننا الكرام، الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ هذه النقطة تعلمنا الموضوعية، ليس كل الأخبار والرهبان، ﴿إِنَّ كَثِيرًا﴾ ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بطرق غير مشروعة، بالإيهام، والكذب، والدجل ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا أشقى الناس، عاش فقيراً ليموت غنياً.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ .

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تُهنا، أثرننا ولا تؤثر علينا، أرزنا وارزنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.